IUGJEPS
Vol 26, No 2, 2018, pp 285 -303

ISSN 2410-3152

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية

تاريخ الإرسال (2016-12-13)، تاريخ قبول النشر (2017-05-30)

خَصَائِصُ طَرِيقَةِ التَّرْبِيَةِ بِالمَوعِظَةِ فِي المَنهَجِ التَربَويِّ النَبَويِّ

د. عماد كنعان [1,*]

[1] قسم العلوم التربوية– جامعة كيليس – الجمهورية التركية

[*] البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: dr.emadkanaan@gamil.com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى تأصيل بعض ضوابط طريقة التربية بالموعظة في المَنهَج التربويِّ النبويِّ وتحليلها، وذلك في ضوء النصوص الواردة في السنة المطهرة.

واستخدم الباحث المنهج التوثيقي التأصيلي والمنهج الوصفي التحليلي عبر أداتي الاستقراء والاستنتاج للتعرف إلى منهج النبي صلى الله عليه وسلم التربوي في تمكين دعائم الإيمان الراسخ في العلاقات فيما بينه وبين المسلمين من جهة، وبين المسلمين مع بعضهم البعض من جهة ثانية؛ ثم شَرَعَ البحث بمعالجة عدة متغيرات متعلقة بأهم ضوابط طريقة التربية بالموعظة في المَنهَج التربويِّ النبويِّ وتحليلها ليتعرف القارئ على أهم الطرق التربوية التي تقف وراء ترسيخ الخصال الحميدة التي أسفرت التربية النبوية عن إحداثها في شخصية جيل الصحابة الميمون.

وخلصت الدراسة إلى أن المَنهَجَ التربويَّ النبويَّ أحدث ثورة شاملة وعميقة في نفوس الصحابة الكرام معتمداً على طرقٍ وأساليب متنوعة في التربية والتعليم تنافس أحدث فتوحات العصر النفسية والتربوية؛ وأوصت الدراسة بالإفادة من منهج التأصيل والتحليل الذي اعتمدته والعمل على تطويره بغية إنجاز دراسات توثق ثراء الفكر التربوي النبوي وسبقه في إرساء مبادئ البناء الإنساني الإيجابية، وذلك من خلال إظهار تعدد أساليب التربية النبوية وتنوع غاياتها.

كما أوصت بأهمية دعوة الباحثين الأكاديميين، وكذلك تشجيع المدرسين والخطباء والأدباء والإعلاميين على الاهتمام بدراسة ونشر العلوم التربوية المستمدة من السنة النبوية الصحيحة مع إظهار ما تتضمنه من قيم تربوية ومناهج تربوية تعليمية تسهم في نهضة الأمة وفق منهج الله تعالى.

كلمات مفتاحية: التربية بالموعظة، المنهج التربوي النبوي.

Conditions method Advice educational in the educational curriculum of the sonna

Abstract:

The study aims at consolidating and analyzing some controls of the educational method by following the educational prophetic curriculum according to texts coming from Al Sonna al Shreefa.

Conditions way Advice education in the educational curriculum of the Prophet and analysis. According to texts coming from Al Sonna.

The investigator (researcher) uses the documenting consolidating method and descriptive analytical method Through the process of inference and induction to recognize the educational prophet curriculum, that enforce the bases of established in the relation between him and Moslems in one hand after hand among Moslems in the other hand. After that, the research starts treating many varjbles related to the most important controls of Education prophet method, and analyzing them for the reader to be able to recognize ways that lies behind establishing the good qualities of the educational prophet that influenced personality of (Al Sahaba) The study recommends to benefit from the method of consolidation and analysis and work on improving it in the purpose of achieving studies that enrich the Islamic thought that has been precursor in establishing the principles of the positive humanitarian building through showing the multiplicity of prophetic methods and the diversity of its goals.

It also recommends the importance of inviting (calling) the Academic researchers and encouraging teachers, speakers, writers and interviewers the educational sciences taken from the true prophetic Sonna and also to show its educational values and curriculum that contribute in the rebirth of the nation according to curricutun of Allah.

Keywords: Advice educational , educational curriculum of the sonna.

مقدمة:

كان رسول الله ﷺ في تربيته وتوجيهه ينتقي من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأكثرها وقعاً في نفس المخاطب، وأقربها الى فهمه ووجدانه، وأوثقها تثبيتاً للعلم في ذهنه، ومن اطلع على كتب السيرة النبوية العطرة، والسنة المشرفة يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينوع أساليب تربيته لأصحابه الكرام؛ حيث يكون تارةً سائلاً، وتارةً مجيباً، وفي مَرَّةٍ يضرب المثل، وفي أخرى يستدر طلائع الأفكار، وقد يَصْحَبُ كلامه القَسَمَ في واحدةٍ، وفي ثانية يشرع بتعليم أصحابه مستعيناً بالإشارة والرسم وغيرها من أساليب تربوية متنوعة.

هذا؛ ولقد حاول علماء التربية قديماً وحديثاً أن يهتدوا إلى منهج تربوي شامل يهتم بتحديد الأساليب والقيم والمعايير الكفيلة بإصلاح الإنسان في مختلف مراحل حياته، وبذلوا في ذلك جهوداً مَكَّنَتْهُم من ابتكار نظريات، وصياغة مقترحات وتوصيات قيمة تساعدهم على تحقيق هذا المقصد.

وعلى الرغم من ذلك كله فإنهم لم يتمكنوا من تحديد المنهج التربوي الدقيق الكفيل بمعالجة شخصية الفرد ظاهراً وباطناً، كما أخفقوا في حل كثير من الصعوبات التي تواجه الآباء والأمهات والمربين في هذا المجال.

وأمَّا ما يؤسف له حقاً هو أن تنصرف أنظار ومجهودات كثير من المسلمين الفاعلين في حقل التربية والتعليم إلى مدارس الغرب لينقلوا عنهم نظرياتهم ومناهجهم على نحو كُلِّيٍّ دونما انتقاء أو تمييز، ويفوتهم أن في الإسلام الحل الناجع لما استعصى عليهم حَلُّهُ من مشكلات وتجاوزه من صعوبات، حيث إن في سيرة رسول الله ﷺ مَعِيْنٌ لا ينضب من الإرشادات والتوجيهات والتعاليم على مستوى المضامين المعرفية المطروحة، وعلى مستوى الأساليب والطرق المقترحة.

ومن الشبه المثارة حول التربية النبوية القول بأن التربية الحديثة تعتمد تلكم الأساليب النبوية المتنوعة كافة، وقد تبتكر عناصر جديدة فيها، وتُضْفِي عليها مسحة العصر فتدعمها بالوسائل العلمية والتربوية المعاصرة؟!

والإجابة الحصيفةُ المُنْصِفَةُ تُخْتَصَرُ في هذا المقام؛ بأنه ما من شك أن في هذا القول نِصْفُ الحقيقة وينبغي التسليم له، غير أن النصف الثاني منها تستبين ملامحه في ضَخِّ قوة راسخة تتدفق في أوردة المعارف التي ننشد إيصالها للناس أيا كان نوع تلكم المعارف، ومهما كانت خصائص الناس المتلقين لها، وهنا نعني أن المنهج النبوي في التربية والتعليم كان يتمتع بخاصية إحياء المعارف التي يدعو إليها من خلال توظيف سياسة العمل بما نعلمه رجاء دعوة الناس إليه بالقدوة الحسنة، وهو أسلوب تربوي تعليمي يتنافى مع أسلوب مناولة الوسائل التربوية وتكييفها وفق مزاج الشخص المربي من دون تطبيق مقنع لها، وتَحَلِّ يُجَمِّلُ صورتها ويُرَغِّبُ بالتزامها، وهو ما يميز نمط تربية رسول الله ﷺ للمسلمين، إذ إنه كان عليه الصلاة والسلام يمثل القدوة والنموذج الذي يترك الوقع في النفوس قبل مخاطبتها، إنها فلسفة إحياء المُثُلِ النبيلة بِتَمَثُّلِهَا، وإطلاق مواكب النور عبر إذكائها بعزيز الدماء ونفيس الأموال فداء أن تَتَقِدَ ثم تفيض أطياف بركاتها على الخلق أجمعين.

إن المربي بحاجة كي يصل إلى تحقيق أهدافه التعليمية والتربوية لأن يتعرف على خصائص المتعلمين النفسية، ومستوى إدراكهم العقلي، وعندئذ يتمكن من اختيار الطرق الملائمة لطبيعة المتلقين في ضوء تباين خصائصهم ومقدراتهم.

وقد أدرك النبي ﷺ هذه الحقيقة حيث أشار الأدب التربوي النبوي إلى ضرورة تقدير نوع المبادئ والمعارف التي يراد إيصالها إلى المتعلم في ضوء تحديد مستوى نضج المتعلم النفسي والعقلي والجسدي، ولذلك كان من «مظاهر سموِّ سيرته صلى الله عليه وسلم في تدريس الناس، وفي التعامل معهم، أنه كان يحدثهم وفقاً لمستوياتهم العقلية، فكانت أساليب عرضه للأفكار، وإجاباته عن الأسئلة، تختلف في البعد والمستوى من شخص لآخر طبقاً للقابليات الذهنية التي يتمتع بها الأفراد» (كنعان، 2007م، ص97).

وقد اعتمدت التربية النبوية في طرقها على ثلاثة أسس تمثل جوهر التربية المحمدية، حيث تعد مجتمعة ركائز التربية النبوية التي تقف وراء قوة التأثير والتغيير الذي حققته تلكم الطرق في التربية والتعليم، ومنها طريقة التربية بالموعظة مدار الدراسة الحالية، ويمكن التعريف بتلك الأسس بإيجاز **وفق البيان الآتي:**

1- المحاكمة العقلية: وذلك سعياً وراء تعريف الإنسان بذاته، وتحفيزه على توظيف مختلف كفاءاته، ويتحقق هذا المقصد من خلال اختيار الأسلوب الصالح لجميع مدارك المخاطبين في أثناء إدارة دفة جلسات المناقشة والحوار التعليمية.

2- القصص والعبر التاريخية: وقد تمت الإفادة من القصة لما لها من تأثير كبير في نفوس السامعين، ولما يمكن أن تشتمل عليه من مُثُلٍ كريمة ومعارف متنوعة.

3- الإثارة الوجدانية: ويتأتى ذلك عبر إثارة العاطفة الدينية من خلال اغتنام الفرص والمناسبات.

وفي ضوء تلكم الأسس تتجلى أهم محاور الطرق التربوية في السنة النبوية والتي يمكن اختصار التعريف بها **بما يأتي:**

1- الطريقة التقريرية: وتعتمد على طرح الحقائق والمعلومات، وتأكيدها بصورة مباشرة على السامع، وقد اعتمدها النبي ﷺ في المواقف العامة لمخاطبة جموع المسلمين كخطب الجمعة والعيد والحج، وقد كانت هي الطريقة السائدة لما لها من تأثير في تثبيت العقيدة وتوطين الأحكام.

2- الطريقة الاستنتاجية: وتعنى هذه الطريقة بذكر حقائق عامة ينطوي تحتها كثير من الحقائق الجزئية، حيث تتهيأ العقول لاستنباط هذه المعارف الجزئية، وقد أدت هذه الطريقة إلى تفعيل الاجتهاد وتمكين علن أصول الفقه.

3- الطريقة الاستقرائية: وفيها ينتقل المربي من الجزئيات إلى الكليات ومن الخاص إلى العام، ومن المعلوم إلى المجهول، وبذلك تعطي قواعد أصولية عامة تُمَكِّنُ المتلقي من استخدامها في قضايا أخرى.

وإن الدراسة الحالية تنشد تسليط الضوء على أهم ملامح ومميزات طريقة التربية بالموعظة في المنهج التربوي النبوي مع الإشارة إلى أثرها في نفوس جيل الصحابة رضي الله عنهم، وذلك من خلال سرد تأصيلي تحليلي يبين أهم الأساليب النبوية الحكيمة لإنجاز التغير المنشود في الفرد ثم المجتمع معاً.

مشكلة البحث:

إن من الشبهات الجائرة التي تثار حول الرسالة الخاتمة ما يوصِفه أعداء الإسلام بقولهم: عدم قابلية الشريعة الإسلامية في العصور الراهنة لإحداث التغيير الجذري الذي أحدثته في معتقدات الرعيل الأول وسلوكاته، وذلك بسبب تباين معطيات العصر كافة عن سالفاتها في الزمن الغابر.

وهذه دعوة باطلة حيث أن الشريعة الإسلامية جاءت بمنهج تربوي معجز يماثل الإعجاز اللغوي والتشريعي والعددي والعلمي الذي مثل وجوها منيرة لخصائص الرسالة الخاتمة.

وحيث إن الوقوع أكبر أدلة الإمكان فإننا نؤكد أن الشريعة الإسلامية قادرة في ظلال منهجها التربوي الرشيد على معالجة معضلات الأمم حاضراً ومستقبلاً كما فعلته ماضياً، فقد أحيا الله سبحانه بهذا المنهج التربوي السماوي شعوباً وقبائل ناقلاً إياها من عبادة العباد والجماد والبهائم إلى عبادة رب العالمين.

وهنا ينشد البحث الوقوف على ماهية تلكم التربية الإلهية من خلال التعريف بمنهج الوحي الثاني وهو السنة النبوية المطهرة، فالتربية النبوية شاملة لمبادئ تعليم وطرق تعلم موصفة بدقة فائقة، ومؤصلة بأمانة عالية، وسوف نستعرض في البحث إحدى تلكم الطرق النبوية في التربية والتعليم، وذلك من خلال تأصيل طريقة التربية بالموعظة في السنة النبوية وتحليلها، وهو ما يفصح عن سر مخرجاتها المعجزة في تربية الإنسان الصالح المنتج، وفي ذلك إنصاف لمنهج النبوة الرشيد في أثناء تبليغ الدعوة السماوية الخاتمة.

هذا، ولقد توافقت جملة دراسات وأبحاث على أن لطريقة التربية بالموعظة أثر بالغ في تربية الإنسان، صغيرًا كان أو كبيرًا؛ وذلك لما فيها من ترْقيق للقلْب، ومخاطبة للنَّفس، واستثارة لعواطفه، ولاسيَّما أنَّ في النَّفس استعدادًا للتأثُّر بما يلقى إليْها من الكلام، وإن المجتمعات المعاصرة اليوم رغبة واضحة للاستماع للخطابات المطولة التي تعالج قضايا المجتمع المتباينة، وإن طريقة التربية بالموعظة هي في جوهرها طريقة توفر فرصة سانحة للخطباء والواعظين لإيصال ما يريدونه من أفكار ومعلومات وتوجيهات إلى الناس على اختلاف شرائحهم.

فإن مشكلة البحث تتلخص في السؤال الآتي: **ما خصائص طريقة التربية بالموعظة بوصفها إحدى طرق التربية في المنهج التربوي النبوي؟**

أهمية البحث ومسوغاته: تتلخص أهمية البحث ودوافع كتابته في النقاط الآتية:

1- تقديم الرؤية الإسلامية التربوية لطريقة التربية بالموعظة سعياً وراء بناء الإنسان المهتدي.

2- التعريف بطريقة التربية بالموعظة في المنهج التربوي النبوي في أثناء تربية جيل الصاحبة وتعليمه.

3- تحديد ملامح المنظومة القيمية للمنهج التربوي النبوي التي تجلّيها خصائص طريقة التربية بالموعظة.

أهداف البحث: يَنْشُدُ البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1- التعريف بخصائص طريقة التربية بالموعظة في المنهج التربوي النبوي.

2- تبيان شمولية الشريعة الإسلامية واستيعابها العلوم النفسية والتربوية الحديثة النافعة.

3- تقديم جملة من النتائج وعرض عدد من التوصيات القابلة للتطبيق بغية تعميم الفائدة من الدراسة.

الطريقة والإجراءات: ينشد الباحث تحقيق أهداف الدراسة الحالية وفق الإجراءات الآتية:

1- تقديم تعريف مقتضب بمفهوم طريقة التربية بالموعظة.

2- دراسة خصائص طريقة التربية بالموعظة في السنة النبوية عبر توظيف منهج تأصيلي تحليلي، يظهر الأدلة الصحيحة من السنة المطهرة، ثم يبين وجه الاستدلال بها على حكمة النبوة الراشدة في إصلاح الإنسان وبناء الأوطان بالاعتماد على نقاط إيجابية تشتمل عليها طريقة الموعظة.

3- عرض النتائج التي خلصت لها الدراسة بوصفها إحدى الأهداف التي حددتها الدراسة مسبقاً.

4- تقديم جملة من التوصيات القابلة للإنجاز تم الوقوف عليها من خلال نتائج الدراسة أصولاً.

مصطلحات البحث: ومن أهمها الآتي:

1- **الصحابي:** من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام (الطحان، 1415هـ،ص 15).

2- **السنَّة النبوية:** هي ما صح عن رسول الله ﷺ من قول أو عمل أو تقرير (القطان، 2001م، ص ص71_73).

3- **المَنْهَجِ التَرَبَوِيّ الإسلَامِيّ:** هو فلسفة الإسلام في تربية الفرد والجماعة المسلمة في ضوء توجيهات الكتاب والسُنَّة (كنعان، 2016م، ص3).

4- **طريقة التربية بالموعظة:** هي طريقة نبوية في التربية والتعليم تقوم على إيصال جملة المعارف والقيم عبر ضوابط شتى.

الدراسات السابقة: من أهم الدراسات السابقة ذات الصلة التي وقع عليها الباحث ما يأتي:

- **أساليب تربية الأولاد: التربية بالموعظة :**
  - **الباحث:** د. راتب النابلسي
  - **تاريخ النشر:** د . ت
  - **ملخص البحث:** يتناول هذا البحث طريقة التربية بالموعظة في السنة النبوية مشيراً إلى عدة محاور من أهمها:

1-أثر توظيف القصة في طريقة التربية بالموعظة.

2-استعمال النداء في الموعظة.

3-اتباع النبي أسلوب الحوار في أثناء وعظه للناس.

4-تلطيف الموعظة بالدعابة الموجهة.

5-التحدث في موضوعات تخص هموم الناس.

6-ضرب المثل لتوضيح مقاصد الموعظة السامية.

- **التربية باستخدام المواعظ وضرب الأمثلة والقصص**

- **الكاتب:** محمد جابر
- **تاريخ النشر:**2009م
- **ملخص البحث:** تحدث المقال عن أساليب التربية في السنَّة النبوية ومنها أسلوب النصح بالموعظة الَّذي أقرَّته السنَّة النبويَّة لما له من أثر بالغ في تربية الإنسان، صغيرًا كان أو كبيرًا؛ ولما فيه من تزْقيق للقلْب، ومخاطبة للنَّفس، واستثارة لعواطفها، ولاسيَّما أنَّ في النَّفس استعدادًا للتأثُّر بما يلقى إليْها من الكلام، وهو استعداد مؤقَّت في الغالب؛ ولذلك يلزمه التَّكرار، وأكد الباحث أن الموعظة المؤثِّرة تفتح طريقَها إلى النَّفس مباشرة عن طريق الوجْدان، وتهزُّه هزًّا، وتُثير كوامنَه لحظةً من الوقْت، كالسَّائل الَّذي تقلب رواسبه، فتملأ كيانه؛ ولكنَّها إذا تُرِكت تترسَّب من جديد.

- **أسلوب القصة وأغراضه التربوية في الصحيحين**

- **الكاتب:** أيمن محمد عبد العزيز عمرو
- **تاريخ النشر:**2009م
- **ملخص البحث:** تمثل الدراسة جهداً علمياً يؤكد أهمية القصة باعتبارها إحدى سبل التربية بالموعظة في التربية النبوية، وقد هدفت الدراسة إلى الكشف عن الأغراض التربوية لأسلوب القصة في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم، في محاولة لتأصيل العلوم التربوية المستمدة من السنة النبوية الصحيحة وفق منهج علمي يقوم على الاستقصاء والتحليل والاستنباط. وقد تناولت هذه الدراسة مقدمة وأربعة مطالب هي: مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح، والأهداف التربوية للقصة في الصحيحين، والأساليب التعليمية المستخدمة في القصة النبوية، وأهم خصائص القصة النبوية في الصحيحين. وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

–للقصة النبوية مجموعة من الأهداف تتلخص ببناء العقيدة الصحيحة عند الصحابة رضوان الله عليهم، والحث على التزام القيم والأخلاق الإسلامية السامية، وتعميق الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه في كل مجالات الحياة، وتوجيه أنظار المؤمنين نحو الحياة الآخرة، وبيان بعض الأحكام الشرعية التي وردت في سياق القصص النبوي.

–القصة النبوية لم تلتزم بنوع واحد من أساليب العرض، بل تنوعت حسب تنوع الفئة المستهدفة، وتنوع الغرض من القصة، ومن أهم الاساليب التعليمية التي توصلت إليها الدراسة: أسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب ضرب المثال، وأسلوب الموعظة الحسنة، وأسلوب السؤال والجواب.

–تتميز القصة النبوية عن غيرها من القصص الأدبي بمجموعة من الخصائص منها: الصدق وتمام المطابقة مع الواقع، والتركيز على الفائدة المرجوة من القصة وأخذ العبرة منها، وسهولة الألفاظ ووضوح الأساليب، والقصر وعدم الإطالة لتحقيق أهداف القصة، وتجنب استخدام الألفاظ المعيبة حتى في المواقف التي فيها حرج.

وأوصت الدراسة بدعوة الجامعات العربية والإسلامية إلى تشجيع الأبحاث العلمية المتعلقة بتأصيل العلوم التربوية المستمدة من السنة النبوية الصحيحة، وكذلك دعوة الخطباء والأدباء والإعلاميين إلى استخراج ما في قصص السنة الصحيحة من قيم تربوية تسهم في نهضة الأمة وفق منهج الله تعالى.

ثانياً: نتائج الدراسة

1-مفهوم طريقة التربية بالموعظة :

قال الرازي في التعريف بمصطلح الوعظ: هو النصح، والتذكير بالعواقب، وقد وعَظه (من باب وعَد، وعِظة أيضاً بالكسر) فاتعظ أي: قبل الموعظة، يقال: السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره (الرازي، 1995م، ج 1، ص303).

وقال المقرَي: وعظه يعظه وعظاً و عظة، أمره بالطاعة، ووصاه بها، و عليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ [سبأ: 46] أي: أوصيكم وآمركم، فاتعظ أي: ائتمر و كف نفسه (الرافعي، د-ت،ج 2، ص ص 665- 666).

تعد طريقة الوعظ بالكلمة الحسنة المستندة إلى الفكرة المنطقية، والمسوغة بالأدلة الدامغة، من أقدم الطرق المستخدمة في التربية والتعليم وأكثرها شيوعاً، ويشير مصطلح الموعظة إلى مهارة توظيف النصح والتذكير بالعواقب بغية تزويد الناس بنافع المعارف ودعوتهم إلى لطائف المُثُلِ، قال تعالى: **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** [النحل: 125]، وقال سبحانه أيضاً: **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا** [النساء: 63].

هذا؛ ولقد كان النبي ﷺ يتخير الوقت المناسب لوعظ أصحابه، فيراعي أوقات النشاط عندهم خشية دخول الملل على نفوسهم، فقد روى البخاري بسنده من طريق ابن مسعود أنه قال: (كان النبي ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا) [صحيح البخاري 25/1 :68]. وكان عبد الله بن مسعود يُذَكِّرُ الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لَوَدَدْتُ أنك ذَكَّرْتَنَا كل يوم؟ قال: (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكُم، وإني أَتَخَوَّلُكُمْ بالموعظة كما كان النبي ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بها مخافة السآمة علينا) [صحيح البخاري 70:25/1]. وكان ﷺ أيضاً يخصص يوماً للنساء يعظهنَّ فيه، فقد رواه أبو سعيد الخدري فقال: قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهنَّ يوماً لقيهنَّ فيه، فوعظهنَّ وأمرهنَّ، فكان فيما قال لهنَّ: «**ما منكن امرأة تُقَدِّمُ ثلاثة من ولدها** (المراد من تقديمهم هنا: هو موتهم وهم صغار دون سن الحنث)، **إلا كان لها حجاباً من النار**» فقالت امرأة: واثنتين؟ فقال: «واثنتين» [صحيح البخاري 101:32/1].

وإن من أشهر خطبه الوعظية ﷺ يوم تماثل في حجة الوداع مرسِّخاً أسس الدعوة الخاتمة، ومُبَرِّئاً ذِمَّتَهُ أمام الله تعالى، حيث قال فيها: «**إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعةٌ حرمٌ: ثلاثةٌ متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ورجب**»، ثم قال: «**أي شهر هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال . الصحابة . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليس ذا الحجة؟**» قلنا؛: بلى. قال: «**فأي بلد هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت. حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليس البلدة؟**». قلنا: بلى. قال: «**فأي يوم هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فسكت. حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. قال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا: بلى. قال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يَبْلُغُهُ يكون أوعى لـه من بعض من سَمِعَهُ**»، ثم قال: «**ألا هل بلغت؟**»: قالوا: نعم. قال: «**اللهم اشهد**».

فيلاحظ من هذه الخطبة أن النبي ﷺ قد استعمل فيها عدة طرق ليشد السامعين إليه، فاستعمل أسلوب الاستفهام الذي يجعل المستمعين يترقبون الإجابة بشوق، وأسلوب السكوت الطويل بعد السؤال الذي يزيد من لهفة المنصتين على استظهار فحوى الإجابة، حيث إنه يثير فيهم الدافع المعرفي، كما أنه كان يستعمل أساليب أخرى في خطبه؛ كالإشارات وظهور علامات الانفعال عليه؛ فقد روى جابر بن عبد الله فقال: (كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش).

2-خصائص طريقة التربية بالموعظة :

يَحْسُنُ بنا أن نتعرف مميزات الأسلوب النبوي في إلقاء الموعظة حيث أوتي النبي ﷺ معجزة لغوية آسرة، وهذا ما أخبر عنه قائلاً: «**بعثت بِجَوامِعِ الكَلِمِ**» [صحيح البخاري 2977:54/4]. كما أن الحديث النبوي امتاز بقوة البيان الذي يأخذ بمجامع القلوب، حتى أن الله عز وجل سماه في القرآن الكريم: (حكمة) فقال تعالى: چوَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًاچ [النساء: 113]، وهذا ما جعل حديثه يقع موقعاً حسناً في نفوس الصحابة، ويؤثر فيهم تأثيراً بالغاً، مما سهل عليهم حفظه ونقله، وإن من أهم ميزات الأسلوب الوعظي في المدرسة التربوية المحمدية ما يأتي:

- **الإيجاز**: كان كلام النبي ﷺ مقتضباً، فلم يكن يطيل الكلام، وإنما يكتفي بالألفاظ القليلة التي تؤدي معان كثيرة، وتصف السيدة عائشة حديثه الشريف بقولها: (إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عَدَّهُ العَادُّ لأحصاه) [صحيح البخاري 3567:190/4].

وعن جابر بن سمرة قال: (كنت أصلي مع رسول الله ﷺ، فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً) [صحيح مسلم 41:591/2].

وعن جابر بن سمرة السوائي قال: (كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هُنَّ كلمات يسيرات) [أبو داود 1107:289/1]. وحدثنا شعيب بن رزيق الطائفي قال: جلست إلى رجل له صحبة من رسول الله ﷺ يقال له: الحكم بن حزن الكلفي، فأنشأ يحدثنا فقال: وفدت إلى رسول الله ﷺ سابع سبعة، أو تاسع تسعة، فدخلنا عليه، فقلنا: يا رسول الله، زرناك فادع الله لنا بخير، فأمر بنا، أو أمر لنا بشيء من التمر، والشأن إذ ذاك دون، فأقمنا بها أياماً شهدنا فيها الجمعة مع رسول الله ﷺ، فقام متوكئً على عصا، أو قوس، فحمد الله وأثنى عليه كلماتٍ خفيفاتٍ طيباتٍ مباركاتٍ، ثم قال: «**أيها الناس، إنكم لن تطيقوا، أو لن تفعلوا كل ما أمرتم به، ولكن سددوا، وأبشروا**» [أبو داود 1096:287/1].

وانظر إلى ما تحمله باقة الأحاديث النبوية الشريفة هذه من معانٍ ساميةٍ نسجت بخيوطِ مفرداتٍ مختصرةٍ:

- قال ﷺ: «**مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل الْمُعَقَّلَةِ، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**» [صحيح البخاري 531:193/6].
- قال ﷺ: «**إنما مثل الذي يتصدق بصدقة ثم يعود في صدقته، كمثل الكلب يقيء ثم يأكل قيأه**» [صحيح مسلم 1622:1241/3].
- قال ﷺ: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء، ويماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس أدخله الله جهنم**» [ابن ماجه 260:135/1].

- قال ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت**» [أحمد 1661:307/2].

إن الأحاديث الشريفة السالفة تحمل في أكنافها توجيهات دقيقة، وترشد إلى قيمٍ ثرَّةٍ نفيسةٍ، وذلك برغم كلماتها المقتضبة، وجملها الموجزة.

- **بذل المحبة للمخاطبين:** تنهض المحبة بأدوار سفير القلوب الأمين، وإن في إظهارها تقوية لأواصر الصلة بين المتخاطبين، بحيث تطمئن النفوس وتأنس ببعضها، وتزيد من ثقة المخاطب بالمتكلم، فينزل كلام الواعظ منزلاً مباركاً في قلب المخاطب، فيتلقى نداءه بنفس راضية، وربما بعين باكية أيضا.
- وقد حرص النبي ﷺ على تعميق هذا الجانب المشرق في علاقة المؤمنين مع بعضهم، فها هو يأخذ مرة بيد معاذ بن جبل ويقول له: «**يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**»، فقال: «**أوصيك يا معاذ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» [أبو داود 1522/2: 86]. وروى الحاكم بسنده من طريق أبي إسحاق أن رسول الله ﷺ قال لعقيل بن أبي طالب: «**يا أبا يزيد إني أحبك حبين؛ حُبّاً لقرابتك مني، وحُبّاً لما كنت أعلم من حُبِّ عمي إياك**» [الحاكم/6504].
- وحدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ استقبله ذات يوم غلمانٌ، وإماءٌ، وعبيدٌ من الأنصار، فقال: «**والله إني لأحبكم**» [أحمد 12522:498/19]. وعن أنس أيضاً أن النبي ﷺ مر ببعض المدينة، فإذا هو بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدَفِّهِنَّ، ويَتَغَنَّيْنَ، ويقلن:

نحـــن جَـــوَارٍ مـــن بنـــي النجـــار يـــا حبـــذا مُحَمَّـــدٌ مـــن جـــار

- فقال النبي ﷺ: «**الله يعلم إني لأُحِبُكُنَّ**» [ابن ماجة 1898:92/3].

- **التأني في السرد:** كان النبي ﷺ يتأنى في إلقاء الكلام على مسامع أصحابه ليتمكنوا من فهمه وحفظه، حيث كان جُلُّ اعتمادهم في حفظ الحديث على السماع مشافهة، وهذا ما أشارت إليه السيدة عائشة بقولها: (إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم) [صحيح البخاري 3165:190/4]. وفي رواية أخرى قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يُبَيِّنُهُ، فَصْلٌ، يحفظه من جلس إليه) [الترمذي 3639:37/6].
- **التكرار:** كان من أسلوبه الحكيم ﷺ في الوعظ أن يكرر بعض الكلمات المهمة أو الصعبة ليبين أهمية الكلام من جهة، ولِتَعِيَهُ صدور المخاطبين ويسهل عليهم حفظه من جهة أخرى، وقد عقد البخاري باباً في كتاب العلم بعنوان: (من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه)، ومما جاء في هذا الباب ما حدث به أنس أن النبي ﷺ: (كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفْهَمَ عنه) [صحيح البخاري 95:30/1].
- **استخدام ألفاظ العموم تجنباً لإحراج المخاطبين:** إن عدم تخصيص المذنب بالكلام يجنبه الحرج، ويجعله يقبل الموعظة بنفس راضية، وهذا منهج رشيد يُسْكِنُ حب المتكلم في قلب المخاطب؛ لأن الواعظ قد تعبد الله تعالى بالستر على الجاني ولم يسعى لأن يوغل في فضحه، وهنا يأتي الأثر المبارك لعبادة الستر حيث يسارع التائه إلى الانتهاء عن المخالفة من باب رد الجميل للناصح الأمين من وجه، وحتى تبقى صورته حسنة في نفوس الناس من وجه آخر.

- وللخلاص الآمن إلى هذا المقصد السامي كان رسول الله ﷺ يستخدم ألفاظ العموم في هداية أصحابه، فقد حدثتنا أُمُّنَا البَتُولُ عائشة رضي الله عنها فقالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟**» [أبو داود 4788:250/4].

وفي رواية أخرى لها قالت: صنع النبي ﷺ شيئاً فَرَخَّصَ فيه، فَتَنَزَّهَ عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله، ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**» [صحيح البخاري 6101:36/8].

وهنا يوجه الرسول ﷺ خطاباً يعاتب به الذين يظنون أنهم أحسنوا الفعل فيما اختاروا، ويوجه المجتمع صراحة إلى وجوب مجافات نظير فعلهم السلبي من خلال قوله: **(ما بال أقوام)**،.

وعن عائشة قالت: أتتها بريرة تسألها في كتابتها، فقالت: إن شئت أعطيت أهلك ويكون الولاء لي، وقال أهلها: إن شئت أعطيتها ما بقي، وقال سفيان مرة: إن شئت أعتقتها، ويكون الولاء لنا، فلما جاء رسول الله ﷺ ذكرته ذلك، فقال النبي ﷺ: «**ابتاعيها فأعتقيها، فإن الولاء لمن أعتق**»، ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر، وقال سفيان مرة: فصعد رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «**ما بال أقوام يشترطون شروطاً، ليس في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله، فليس له، وإن اشترط مائة مرة**» [صحيح البخاري 456:98/1].

ويعتمد النبي ﷺ في هذا المقام على سياسة تعميم الخطاب، ثم تخصيص السبب حيث يؤدي هذا المنهج وظيفتان رئيستان؛ أولهما: بيان المرغوب بيانه من الإرشاد، ثم بيان الخطأ في حد ذاته، ليعي المخاطب من بين أفراد المجتمع، أن توجيه المجتمع كان بسبب فعله، فيبادر إلى إصلاحه، كي لا يحوج الموجه إلى توجيه الإرشاد إليه هو خاصة، وليعي المجتمع في الوقت نفسه وجه الخطأ في بعض السلوكيات التي تصدر عن بعضهم؛ فيرتقي بسلوكه الاجتماعي العام.

كما حدثنا أنس بن مالك فقال: قال النبي ﷺ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم**»، فاشتد قوله في ذلك، حتى قال: «**لَيَنْتَهِنَّ عن ذلك أو لَتُخَطَّفَنَّ أبصارهم**» [صحيح البخاري 750:156/1].

- **مراعاة الفروق الفردية:** أكدت السنة النبوية وجود فروق فردية بين الناس في ماهية تكوينهم النفسي والعقلي والجسدي (أبو غدة، 1996م ،ص ص8 – 92). فقد أوضح النبي ﷺ أنه مثلما لا تتشاكل معادن الأرض من ذهب وفضة وغيرها في مكوناتها وقيمتها، كذلك الناس يختلفون في طبائعهم وأخلاقهم واستعداداتهم (نجاتي، 200م، ص 256)، قال ﷺ: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**» [صحيح مسلم 160:231/4].

وضرب مثلاً على وجود فروق فردية بين الناس من خلال الإشارة إلى تفاضل بعض أصحابه على الآخرين ببعض الشمائل الحميدة، قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبَيٌّ، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**» الترمذي 3790:135/6].

نعم؛ لقد كان النبي ﷺ وهو المعلم الأول، والمربي الأقوم، يراعي في فتواه تباين أحوال المستفتيين، فقد روى عبد الله بن عمرو فقال: كنا عند النبي ﷺ فجاء شاب فقال يا رسول الله أقبل وأنا صائم؟ قال: «**لا**»، فجاء شيخ فقال: أُقَبِّلُ وأنا صائم؟ قال:

«**نعم**»، قال: فنظر بعضنا إلى بعض فقال رسول الله ﷺ: «**قد علمت لِمَ نظر بعضكم إلى بعض! إن الشيخ يملك نفسه**» [أحمد 6739:351/11].

- ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يقبل أن يجيب عن بعض أسئلة قوم دون قوم آخرين لمقاصد غاية في الأهمية ترتبط بتفاوت حال كل سائل، فقد روى أنس بن مالك فقال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال ﷺ: «**صدق**»، قال: فمن خلق السماء؟ قال ﷺ: «**الله**»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال ﷺ: «**الله**»، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل قال ﷺ: «**الله**»، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال: آلله أرسلك؟ قال ﷺ: «**نعم**»، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال ﷺ: «**صدق**»، قال: ثم وَلَّى، وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهنَّ ولا أنقص منهنَّ، فقال النبي ﷺ: «**لئن صدق لَيَدْخُلَنَّ الجنة**» [صحيح مسلم 10:41/1].
- وحدثنا عمر بن الخطاب فقال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله أقرأنيها، فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لببته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقال رسول الله ﷺ: «**أرسله، اقرأ**»، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**هكذا أنزلت**»، ثم قال لي ﷺ: «**اقرأ**»، فقرأت، فقال ﷺ: «**هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه**» [صحيح مسلم 270:560/1].

➢ **تقريب لغة الخطاب وتبسيطها للمخاطبين:** لقد كان النبي ﷺ يحقق هذا الهدف التربوي التعليمي وفق ضربين من الخطاب:

أ. **مخاطبة الناس باللهجة التي يفهمونها:** وذلك أن المخاطب إذا لم يفهم كلام المتكلم فكأنه لم يسمعه أصلاً، إذ الهدف من الخطاب بالدرجة الأولى: أن يفهم المخاطب المقصود من الخطاب حتى يفيد منه، وقد كان لبعض القبائل أو المناطق لهجة عربية خاصة بهم يفهمون الخطاب بواسطتها أكثر من غيرها، وقد كان النبي ﷺ يراعي هذه المسألة، حيث ورد قوله ﷺ: «**ليس من البِرِّ الصوم في السفر**» [صحيح البخاري 270:560/1]. برواية ثانية تشير إلى مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم للهجة بعض الأعراب الوافدين عليه يلتمسون التعرف إلى تعاليم الدين الجديد، فقد قال الحافظ ابن حجر: وروي هذا الحديث عن أحمد من حديث كعب بن عاصم الأشعري بلفظ: « **ليس منِ امْ بر امْ صيامٌ في امْ سفر** » [أحمد 23679:84/39]. وهذه لغة لبعض أهل اليمن يجعلون لام التعريف مِيْمَاً، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ قد خاطب بها هذا الأشعري كذلك؛ لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعري هذا نطق بها على ما أَلِفَ من لغته، فحملها عنه الراوي وأداها باللفظ الذي سمعها به، وهذا الثاني أوجه عندي والله أعلم» [ابن حجر، 1964م ، 252].

وحدثنا عروة بن محمد بن عطية قائلاً: حدثني أبي، أن أباه أخبره فقال: قدمت على رسول الله ﷺ في أناس من بني سعد بن بكر وكنت أصغر القوم فخلفوني في رحالهم، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقضى من حوائجهم، ثم قال: «هل بقي منكم من أحد ؟»، قالوا: نعم غلام معنا خلفناه في رحالنا، فأمرهم أن يبعثوا إلي، فأتوني فقالوا: أجب رسول الله ﷺ فأتيته، فلما رآني

قال: «**ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً، فإن اليد العليا هي المُنْطِيَةُ** (المُعْطِيَةُ)، **وإن اليد السفلى هي المُنْطَاةُ** (المُعْطَاةُ)، **وإن مال الله تعالى لمسؤول ومُنْطَى** (مُعْطَى)» قال: فكلمني رسول الله ﷺ بلغتنا[الحاكم/8006].

وروى عبد الله بن فضالة عن أبيه قال: علمني رسول الله ﷺ فكان فيما علمني: «**وحافظ على الصلوات الخمس**»، قال قلت: إن هذه ساعات لي فيها أشغال، فمرني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني فقال ﷺ: «**حافظ على العصرين**»، وما كانت من لغتنا، فقلت: وما العصران؟ فقال: «**صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها**»[أبو داود 428:116/1].

ب. **التَنَزُّلُ بالخطاب إلى مستوى المخاطبين:** إن لغة الخطاب وطريقة إلقائه إذا لم تحاكي مستوى المخاطب فسيمسي حال قائله كأحد مؤذني مالطا، ولهذا كان لزاماً على الواعظ أن يراعي قدرات المتلقين على الفهم والاستيعاب، فيروح يخاطبهم بما تتحمله عقول، ويجيء يسامرهم بما تفقهه قلوبهم، وقد عقد البخاري في كتاب العلم باباً تحت عنوان: (باب من خص بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية ألا يفهموا)، وذكر فيه حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله**» [صحيح البخاري 127:37/1]. وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**أُمِرْنَا أن نُكَلِّمَ الناس على قدر عقولهم**» [العقيلي/2244]. وفي هذا الحديث إشارة إلى ضرورة مراعاة مخاطبة الناس على قدر فهمهم، وألا يلقى إليهم مالا تبلغه عقولهم.

- **توظيف الحوار في المحاججة:** يمثل منهج الحوار المنطقي وسيلة ناجعة تثمر عن إقناع الآخرين بوجوب ترتيب أوراقهم المبعثرة عندما يستعصي عليهم استيعاب معطيات المسألة واحتمالات نهايتها، فالحوار يثير انتباه السامعين، ويشوقهم لسماع الإجابات المسوغة بالبراهين، مما يجعل ذلك أوقع في نفوسهم، وأدنى من مداركهم، وقد وظف الحوار في المنهج النبوي التربوي لغايات عدة كالترغيب، والترهيب، ورد الباطل، وإصلاح النفوس، وتقويم السلوك، وغيرها.

وإن من أشهر الأحاديث في الحوار ما رواه أبو هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود، فقال ﷺ: «**هل لك من إبل؟**»، قال: نعم، قال: «**ما ألوانها**»، قال: حمر، قال: «**هل فيها من أورق**»، قال: نعم، قال: «**فأنى ذلك؟**»، قال: قال لعله نَزَعَهُ عِرْقٌ، قال: «**فلعل ابنك هذا نَزْعَةٌ**» [صحيح البخاري 5305:53/7].

وما روى أيضاً الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي أمامة أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: «**أدنه**»، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لأختك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال ﷺ: «**أفتحبه لخالتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه، وقال ﷺ: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**» [أحمد 22211:545/26].

- **ضرب الأمثال لتقريب الصورة:** كان النبي ﷺ يلجأ إلى ضرب المثل في أثناء حديثه عندما تكون المعاني مبهمة من أجل تقريب المعنى إلى ذهن المتعلم وتوطين الصورة في ذهنه، وهذا الأسلوب كان منهجاً رئيساً في السنة الشريفة.

ومن أمثلته الكثيرة ما رواه ابن عمر فقال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟**»، فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هي النخلة**»، قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إلي من كذا وكذ [صحيح البخاري 61:22/1].

وروى الشيخان بسندهما من طريق أبي هريرة قوله ﷺ: «**إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه**» [صحيح مسلم 17:1789/4].

كما أخبرنا النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**» [صحيح البخاري 2493:139/3].

وروى مسلم بسنده من طريق أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثةً**» [صحيح البخاري 5534:96/7].

- **طرح الأسئلة:** إنه لمن الطبيعي أن يتقدم الطالب بين يدي معلمه سائلاً ينشد الاستفهام عن غوامض الأمور، ولكن ما هو خلافٌ للمألوف أن يروح المعلم الأعظم ﷺ يطرح الأسئلة أحياناً مستلهماً المعرفة من أفواه تلامذته النجباء.

نعم؛ لقد كان النبي ﷺ يُقْدِمُ على هذا المنهج في التعليم بقصد إثارة انتباه السامعين وتشويقهم لمعرفة الجواب، وأحياناً ليحرك ذكاءهم ويثير فطنتهم، ويختبر ما عندهم من علم متوار خلف أسوار الحياء أو بين أروقة النسيان.

ومن أدلة ذلك ما رواه البخاري بسنده من طريق ابن عمر حيث يقص علينا خبر أشهر خطب النبوة الوعظية، وذلك يوم تماثل الرسول الكريم في حجة الوداع مُرَسِّخَاً أسس الدعوة الخاتمة وَمُبَرِّئَاً ذمته أمام الله تعالى، حيث قال فيها في شعيرة منى: «**أتدرون أي يوم هذا؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن هذا يوم حرام؛ أفتدرون أي بلد هذا؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**بلد حرام؛ أتدرون أي شهر هذا؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهر حرام؛ قال: فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**» [صحيح البخاري 6043:15/8].

وروى أبو ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال يوماً: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**»، قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «**إن هذه الشمس تجري حتى تنتهي تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها**»، فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون متى ذاكم؟، ذاك حين** چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ چ [الأنعام: 185]» [صحيح مسلم 250:138/1].

وروى مسلم بسنده من طريق أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**» [صحيح مسلم 70:2001/4].

وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في تربيته لصحابته الكرام، فقد روي عن معاذ بن جبل أنه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار، يقال له: عفير، قال: فقال: «**يا معاذ، تدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن **حق الله على العباد أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»، قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس، قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**» [صحيح مسلم 49:58/1].

ويلاحظ أن النبي ﷺ لم يسأل معاذ الأسئلة التذكرية أي المرتبطة بالحفظ الذي يمثل أدنى مستويات التعلم، والتي تُوَجَّهُ لقياس القدرات المعرفية الدنيا من تفكيره، بل وجه إليه الأسئلة التي تستحث قدراته العقلية، وتنمي فيه مهارات التفكير العليا فهي أسئلة عاصفة الدماغ تحاكي مستويات متقدمة من التعلم.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة أيضاً فقد روي أن النبي ﷺ قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» [صحيح البخاري 59:1997/4]. وقال أيضاً: «**أتدرون أي الصدقة أفضل؟**» [أحمد 4415:422/7]. وقال كذلك: «**أتدرون ما العتيرة؟**» [أحمد 20731:331/34]. وغير ذلك من الأمثلة والأسئلة المتعددة والمتغايرة في منهج طرحها، وفي مقاصد سعيها.

- **توظيف الوسائل الرافدة في الخطاب:** كان النبي ﷺ يستخدم بعض الوسائل التوضيحية من أجل تقريب المقصود إلى أذهان المخاطبين، ومن هذه الوسائل:

أ. **الإشارة:** لقد تآخت الإشارات التربوية في المنهج التربوي النبوي مع الفكرة التعليمية المراد إيصالها، فجاءت الأولى مكملة للثانية على نحو فاعل، ومن نماذجها:

- **الإشارة ببعض الأصابع:** روى سهل بن سعد فقال: قال النبي ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو كهاتين**»، وقرن بين السبابة والوسطى [صحيح البخاري 5301:53/7]. وروى أبو داود بسند صحيح عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**»، وقرن بين أصبعيه؛ الوسطى والتي تلي الإبهام [أبو داود 22820:476/37].
- **التشبيك بين الأصابع:** عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، وشبك بين أصابعه [صحيح البخاري 401:103/1]. وروى جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «**إنا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام، وإنما نحن وهم شيءٌ واحدٌ**»، وشبك بين أصابعه [أبو داود 2980:146/3].
- **الإشارة باليد:** أخرج البخاري عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «**أمرت أن أسجد على سبعة أعظم؛ على الجبهة** – وأشار بيده – **على أنف واليدين والركبتين وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب والشعر**» [صحيح البخاري 812:162/1]. وعن عبد الله قال: ذُكِرَ الدَجَّالُ عند النبي ﷺ فقال: «**إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور**– وأشار بيده إلى عينه – **وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**» [صحيح البخاري 7407:121/9]. وأخرج مسلم بسنده من طريق ابن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا**–وأشار بيده نحو المشرق – **فقد أفطر الصائم**»

[صحيح البخاري 53:773/2].

- **تحريك الرأس والعض على الشفتين:** روى البخاري في الأدب المفرد بسنده من طريق أبي ذر أنه قال: أتيت النبي ﷺ بوضوء فحرك رأسه، وعض على شفتيه، قلت: بأبي أنت وأمي آذيتك؟ قال: «**لا؛ ولكنك تدرك أُمَراءَ أو أَئِمَّةً يؤخرون الصلاة لوقتها**»، قلت: فما تأمرني، قال: «**صل الصلاة لوقتها، فإن أدركت معهم فصله، ولا تقولن صليت فلا أصلي**» [البخاري، الأدب المفرد، 594:330/1].

ب. استخدام الخطوط التوضيحية: لقد وظف النبي ﷺ الرسم التوضيحي بمهارة فائقة على الرغم من جفاف منابع الوسائل التعليمية الحسية وندرة استخدامها في الحقبة النبوية، ومن صور ذلك ما روى البخاري بسنده من طريق عبد الله بن مسعود أنه قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «**هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**» [صحيح البخاري 6417:89/8].

وروى جابر بن عبد الله فقال: كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: «هذا سبيل الله»، ثم تلا هذه الآية: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) [الأنعام: 53] [أحمد 4142:207/7].

- **انتقاء الألفاظ المُثْلَى التي تُقِلُّ السامع نحو الترقي في مشاعره والتسامي في رغباته:**

لقد كان رسول الله ﷺ خير موجه لأمته، يراعي أحوالها جملةً، وأحوال أفرادها تفصيلاً، وينظر بعين المشفق الحاني نحو سبل قضاء حوائجهم، فلا يلزمهم بما لا يرغبون فيه إذا كان لهم وجه حق فيه، بل كان يأخذ بأيديهم بما يطيب به نفوسهم، ويحول دون إحراجهم، ويوجههم بالخطاب الذي يتلاءم واتزان عقولهم، فتنطلق إرادتهم لإمضاء ما يحبه الله تعالى ورسوله.

وانظر في هذه الصورة التربوية الرائعة التي توثق هذا الأدب النبوي الدقيق، فعن عروة أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه: أن النبي ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم: «**إن معي من ترون، وأحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما المال، وإما السبي وقد كنت استأنيت بهم**»، وكان النبي ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن النبي ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام النبي ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد؛ فإن إخوانكم جاؤونا تائبين، وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك؛ فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل**». قالوا: طيبنا ذلك، قال ﷺ: «**إنا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم**»، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه: أنهم طيبوا وأذنوا [صحيح البخاري 2539:147/2].

- **توظيف الحكمة في علاج نفوس تفضل جانب الرفعة في النسب على تطبيق الشريعة:** إن من شهد الحكمة النبوية البالغة في هذا الموطن ما يؤصل هذه الميزة المحمدية في إصلاح النفوس البشرية المجبولة على حب الظلم والفرار من النزول عند الحق، ومن ذلك الذكر الطيب ما روته عائشة رضي الله تعالى عنها حيث قالت: أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت،

فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حِبُّ رسول الله، فكلم رسول الله، فقال ﷺ: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثم قام فخطب، قال: «**يا أيها الناس، إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**» [صحيح البخاري 3475:175/4].

فهذا الحديث الشريف تضمن قوله ﷺ: **(يا أيها الناس)** من أجل تحقيق توعية شاملة نحو الخلل الواقع عامة بغية الارتقاء بالمجتمع ارتقاءً جماعياً، وهي في الوقت نفسه توعيةٌ تضمنت أسلوب خطاب فاعل في التوجيه الجماعي.

- **ترقية أساليب التخاطب، وتنقيتها من الشوائب:** إن ترقية الأساليب الكلامية، وآداب التخاطب، عبر تنقيتها من كل ما يشوبها، وتطهيرها من جميع ما يعيبها، يعد جزءاً من التزكية التي بعث بها سيدنا رسول الله ﷺ، قال تعالى: چ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ چ [آل عمران: ١٦٤].

ولقد حظي أدب التخاطب بنصيب وافر من الدعوة النبوية إلى فريضة التزكية والترقية لما يبوح به المؤمن من خواطر وما يفيض عنه من دعوات؛ ويؤكد ذلك ما شملته السنة النبوية من إرشادات قيمة حول أهمية حجب الآداب الكلامية، والمبادئ الخطابية عن كل نقيصة في المبنى والمعنى؛ وذلك مثل دعوة صاحب الشريعة إلى وجوب: حفظ اللسان، والحث على الصدق، والتنفير من الكذب، وتهذيب إجابة المسيء بكلامه، وغير ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فقد وردت توجيهات نبوية تحث على حفظ اللسان من التعدي على الآخرين، وشهد رسول الله ﷺ لمن يحفظ لسانه ويده عن إيذاء الآخرين بالإسلام؛ فقال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» [صحيح البخاري 10:11/1].

ولذا اتصف الذي يسب الآخرين بالفسق، كما قال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر**» [صحيح البخاري 48:19/1]. فالسباب من الشوائب القولية، التي حذر منها منهج التربية النبوية الرشيد.

كما نَفَّرَ رسول الله ﷺ من الكذب، وعده علامة من علامات النفاق؛ فقال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» [صحيح البخاري 34:16/1].

وحث صاحب الخلق العظيم ﷺ على الصدق، وبين عاقبة الصادقين؛ فقال ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البِرّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صِدِّيقاً**» [صحيح البخاري 6094:25/8].

ودعا نبي الرحمة إلى لزوم تهذيب اللسان عن القيل والقال؛ فجاء قوله الفَصْلُ ﷺ: «**إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات؛ وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» [صحيح البخاري 2408:120/3].

كما جاء في بيان السمات التي ينبغي أن يتحلى المسلم بها أو أن يتخلى عنها، أحاديث فائقة الروعة؛ ومنها قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت**» [صحيح البخاري 6018:11/8]. وذلك لأن الصمت عن اللغو وعن فضول الكلام فضيلة، وفضيلة الصمت المقصودة في الحديث الشريف تمثل سمة من سمات الرقي، ذلك لأن الصمت في هذا

الحال قد يعبر عما لا يفي به كثير من الكلام أحياناً؛ كأن يضفي على هيئة المُعْرِضِ عن اللغو صفة الاتزان والعقلانية، وغير ذلك من المعاني السامية.

وتتجلى سمة الذوق العالي في التخاطب الجماعي في مدرسة النبوة التربوية من خلال دعوتها إلى ضرورة مراعاة مشاعر أفراد الجماعة فيما يتم الحديث فيه؛ وهو ما وجه إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث**» [صحيح البخاري 6288:64/8]. وقد أورده الإمام مسلم رحمه الله تعالى باباً في تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث، وذلك يفيد بأن هذا الأدب ليس من اليسر بحيث يقتصر على تسميته (سمة) ولكنه بلغ أكثر من هذا المبلغ عمقاً وشمولاً.

وكما كره رسول الله ﷺ التقصير في الجواب، بما لا يفي بحاجة السائل؛ ومن ذلك ما جاء عن محمد بن المنكدر، قال سمعت جابراً يقول: أتيت النبي ﷺ في دَيْنٍ كان على أَبِي فدققت الباب، فقال: «**من ذا؟**» فقلت: أنا، فقال: «**أنا، أنا**» كأنه كرهها [صحيح البخاري 6250:55/8]. قال الحافظ ابن حجر: قال الداودي: إنما كرهه لأنه أجابه بغير ما سأله عنه، لأنه لما ضرب الباب عرف أَنَّ ثَمَّ ضَارِبَاً، فلَمَّا قال: أنا، كأنه أعلمه أَنَّ ثَمَّ ضَارِبَاً، فلم يزده على ما عرف من ضرب الباب (ابن حجر، ، ج11، ص35).

وقال الخطابي: قوله: أنا؛ لا يتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما استعمله؛ وكان حق الجواب أن يقول: أنا جابر، ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه (ابن حجر، ، ج12، ص301).

وكان رسولنا الرحيم ﷺ قدوة للمسلمين في اللفظ المهذب، والكلم الطيب، حيث يتضح ذلك في عدد من المواقف النبيلة التي كان ينهجها ويرشد إليها، ومنها مثلاً ما جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت؛ عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: «**اللهم اهد دوساً وائت بهم**» [صحيح البخاري 7315:266/12]. ويفوح عبق هذا الحديث الشريف من الرحمة والرأفة والأدب اللفظي والمعنوي فوحاً سخياً زكياً لا حاجة للتعقيب عليه سعياً وراء إثبات لطيف عطره، ووافر جماله.

أما موقفه ﷺ تجاه يهود، الذين كانوا يلبسون عليه القول لإيذائه؛ فلم يكن يجيب جهالتهم بجهالة مثلها، فهو أعظم من ذلك وأعقل؛ فكان جوابه إذ ذاك محفوفاً بأدب وحكمة، حفظ بهما لسانه من الامتهان وسوء التوجه في المقال، حيث جاء عن عائشة أنها قالت: أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السَّامُ عليكم، قال ﷺ: «**وعليكم**». فقالت عائشة: السَّامُ عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف أو الفحش**»، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال ﷺ: «**أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فِيَّ**» [صحيح البخاري 6030:12/8].

أما صفته الخطابية عليه الصلاة والسلام عند المعتبة فتتجلى فيها سمات الرقي التي ينبغي أن تحتذى، بل ويُعَضُّ عليها بالنواجذ، فقد حدثنا أنس رضي الله تعالى عنه فقال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعَّانَاً، ولا سَبَّابَاً، كان يقول عند المعتبة: «**ما له ترب جبينه**» [صحيح البخاري 6031:13/8]. وهي عبارة رفيعة المعنى، وإن كان مفهوم ظاهرها هو التصاق التراب بالجبين، إلا أنها في الوقت نفسه شبيهة بما يحدث للساجد حين سجوده لله تعالى على الأرض الترابية، وفي ذلك تشريف له وليس امتهان.

وختاماً؛ فإن جميع ما ذكر آنفاً هو ليس إلا غيض من فيض، فالرجل الذي تَعَهَدَ رَبُّهُ بتأديبه – فأحسن تأديبه ولا ريب – قد زخرت سيرته العطرة بروائع الأدب وفضائل المكارم، وحفلت حياته الكريمة بالمواقف التي تؤصل خير ثقافة حلمت الإنسانية جمعاء

بأن ترسو على ضفافها ذات يوم معارف الشعوب وأعرافهم، فتزكية الخطاب الإنساني نموذج من نماذج التزكية النبوية المطهرة العامة لأمة الإسلام. وهو أمر يقدم صورة مشرقة لحقيقة عظمة الإسلام، وحقيقة عظمة النبي الإنسان، وأما ما تم الاقتصار على ذكره، فليس إلا للتدليل على صدق ما نشدنا التدليل عليه، وثبوته في سنته المطهرة عليه الصلاة والسلام في الأولين والآخرين.

ثالثاً: نتائج البحث :

خلص البحث إلى جملة من النتائج، ومن أهمها:

1- المنهج التربوي النبوي يتضمن جملة من المبادئ والطرق التربوية التعليمية الفاعلة التي ينبغي على الباحثين المتخصصين في علوم النفس والتربية مدارستها وفق ثوابت الرؤية الإسلامية الرشيدة.

2- لقد تنوعت طرق وأساليب منهج النبوة الخاتمة وتباينت في التربية والتعليم، ويظهر ذلك جلياً من خلال حكمة النبي الجلية في مواطن شتى والتي بينتها الدراسة أصولاً.

3- وثَّقت الدراسة تميز طريقة التربية بالموعظة بجملة من المميزات التي أعطتها حيوية وتنوعاً بحيث أسهمت في تخريج أجيال من أبناء الأمة المسلمة ممن تحلو بأعلى درجات الخُلُق الكريم والعمل المتقن.

رابعاً: توصيات البحث

وقد أحب الباحث تسجيل أهم توصيات بحثه فيما يأتي:

1- توصي الدراسة بأهمية إنجاز دراسات تحليلية تأصيلية نقدية تفنِّد دعاوى جائرة يشير مفادها: إلى عجز الفكر التربوي الإسلامي عن محاكات ما تطالعنا به علوم العصر من فتوحات علمية (نفسية وتربوية)، وذلك عبر تأكيد صلاحية الشريعة الإسلامية الخاتمة لبناء الإنسان الصالح الناجح في كل عصر ومكان.

2- توصي الدراسة بدعوة الباحثين الأكاديميين، وكذلك تشجيع المدرسين والخطباء والأدباء والإعلاميين على الاهتمام بالأبحاث العلمية المتعلقة بتأصيل العلوم التربوية المستمدة من السنة النبوية الصحيحة وعلى استخراج ما في قصص السنة النبوية الصحيحة من قيم تربوية ومناهج تربوية تعليمية تسهم في نهضة الأمة وفق منهج الله تعالى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المراجع العربية :

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1989م). *الأدب المفرد* .ط3. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1993م). *الأدب المفرد* . ط2. تحقيق مصطفى البغا، دمشق: دار العلوم الإنسانية.

البُستي، محمد بن حبان. (1988م). *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (1405هـ). *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة* . ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (1414هـ) *سنن البيهقي الكبرى*. تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز.

الترمذي، محمد بن عيسى. (1975م). *سنن الترمذي* . ط2 . تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1995م). *مختار الصحاح*. تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان.

الرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. (2000م). *الشرح الكبير*، القاهرة: المكتبة العلمية.

السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث أبو داود. (د –ت). *سنن أبي داود*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا: المكتبة العصرية.

الطبراني، سليمان بن أحمد. (د –ت). *المعجم الكبير*. ط2. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة بن تيمية.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (1964م). *تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير*. تحقيق عبد الله اليماني، المدينة المنورة: دار الكتب العلمية.

أبو غدة، عبد الفتاح (1996م). *الرسول المعلم وأساليبه في التعليم*. بيروت: مطبوع منضد .

القطان، مناع. (2001م). *تاريخ التشريع الإسلامي*. القاهرة: مكتبة وهبة.

كنعان، عماد (2007م). *أثر بعض أنماط التغذية الراجعة في التحصيل والاتجاه*. رسالة ماجستير في التربية، دمشق، جامعة دمشق، كلية التربية، دمشق.

نجاتي، محمد عثمان. (2000م). *الحديث النبوي وعلم النفس*. القاهرة: دار الشروق.

النحلاوي، عبد الرحمن. (1979م). *أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع* . ط1، دمشق: دار الفكر.

النيسابوري، الحاكم محمد بن عبد الله. (1990م). *المستدرك على الصحيحين* . ط1.تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

النيسابوري، محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي. (د –ت). *صحيح ابن خزيمة*. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (1992م). *صحيح مسلم* .ط2.تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار سحنون.

الهاشمي، عبد الحميد. (1981م). *الرسول العربي المربي*. دمشق: دار الثقافة للمجتمع.

الهيثمي، نور الدين علي بن سليمان. (1994م). *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. تحقيق حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي.